

## مثقّف مالك بن نبي

## بين الاستعمار والقابلية للاستعمار

## the intellectual of Malik bin Nabi

<p>بوزيدي الهواري جامعة محمد بن احمد وهران 2 <a href="mailto:dep.socio.oran@gmail.com">dep.socio.oran@gmail.com</a></p>	<p>تكوك تواتي* جامعة محمد بن احمد وهران 2 <a href="mailto:touati_univ@yahoo.fr">touati_univ@yahoo.fr</a></p>
---	--

تاريخ القبول: 2023/06/02

تاريخ الاستلام: 2022/09/29

## المخلص

يموقع مالك بن نبي نفسه إلى جانب تجربته العلمية والمهنية بين ضفتي المتوسط وبين مرحلتين: مرحلة الاستعمار والاستقلال كمتقف مخضرم يكتب بلغة أجنبية ويفكر بطريقة عربية وإسلامية، مقدا لنا تصورا سوسولوجيا عن الأزمات التي تمر ومرت بها الثقافة الإسلامية عموما وكيف انعكست على واقع المسلمين أين جعلت منهم في بعض الأحيان متحضرين أو متخلفين مفتخرين بالتاريخ متوقعين في زمان ومكان سيكون أطلاله، هذا ما سنحاول أن نجلي بعض منه في الخريطة المفاهيمية والإدراكية لمالك بن نبي في محاولته لفهم مشكلة الثقافة والمثقف في العالم الإسلامي من زاوية سوسولوجية .

الكلمات المفتاحية: الثقافة، المثقف، القابلية للاستعمار، الاستعمار، الاستقلال.

## Abstract

Malik bin Nabi sits himself between the two banks of the Mediterranean and two phases: the stage of colonialism and independence as a veteran intellectual who writes in a foreign language and thinks in an Arab and Islamic way, providing us with a sociological perception of the crises that pass through and the Islamic culture in general and how it was reflected in the reality of Muslims where it made them sometimes civilized or Leaders, this is what we will try to sought some of it in the conceptual and cognitive map of Malik bin Nabi in his attempt to understand the problem of culture and intellectual in the Islamic world from a sociological angle

**Keywords:** Culture, intellectual, the ability to colonialism, colonialism, independence.

\* المؤلف المرسل: تواتي تكوك، الإيميل: [touati\\_univ@yahoo.fr](mailto:touati_univ@yahoo.fr)

يعيد مالك بن نبي المشكلة الثقافية للمثقف إلى التنشئة الاجتماعية التي عرفت جوا كولونياليا يريد التحديث وفق آليات الهيمنة الثقافية بإرساء مشاريع ثقافية وتربوية تركز لها مؤسسات التنشئة الاجتماعية من (مدارس، وثاويات وجامعات وإدارات) .

في المقابل وجدت ردة فعل ثقافية مقاومة لكل هذه السيطرة والترسانة الثقافية التفكيكية الانحلالية برفضها لكل ما تحتويه من إغراء أو التوافق التكتيكي معها في أن تدخل الى هذه المؤسسات وأولادها وتأخذ منها ما ينفعها مع الحرص على أن يتلقى الأبناء أيضا بعض الدروس المرتبطة بلغتهم ودينهم من الكتابيب والمساجد.

لا يهتم بن نبي بمرحلة الطفولة والصبا لهذا المتعلم (المثقف) و فقط كورقة بيضاء تكتب عليها الثقافة ما تشاء وإنما في مرحلة متقدمة أيضا، أي كيف سيكون هذا المثقف أو هؤلاء المثقفين المنتمين إلى بلد واحد وعرق واحد ولغة واحدة، هل هم استمرار لتلك الثقافة المغروسة أو المزروعة فيهم بحكم أن الثقافة هي فعل مزارعة أي من الأصل اللاتيني للكلمة **cutura** وتعني حصد، زرع، اعتنى، صان، احتفظ (محمد شوقي الزين، 2014، ص ) أي هل هم مجرد ثمار لهذه الثقافة أم تحولوا فعلا إلى مزارعين مؤهلين لخدمة هذه الثقافة كما يخدم الفلاح أو المزارع أرضه ليصلها أو يجعلها أكثر فعالية وإنتاجية أو يحررها بما امتلك من معارف ووسائل ومن سلطة ثقافية أخذها بفعل خطابه التوعوي والنضالي الثوري الصانع للمعنى المقدم للحلول المناهض لكل هيمنة أو التي أخذها أيضا أو بالأحرى منحت له من قبل القوة السياسية والحيلة الإيديولوجية والحزبية والتدليس باسم الشرعية العقلانية التنويرية، التاريخية والتاريخية .

وإذا نحن أخذنا مثال المقاومة الجزائرية التي هي وفق التنظير الماركسي مقاومة فلاحين أو مزارعين هل تخلق المثقف الجزائري عن دوره الثوري عشية الاستقلال وغداته؟ وأي تصنيف أعد بن نبي للمثقفين في الجزائر؟ وما هي أنواع المثقفين الموجودة في الجزائر وفق ترتيب مالك بن نبي؟ وترى أي مشكلة ثقافية يعيش المثقف الجزائري وفق تصور مالك بن نبي ؟

من خلال الاستعانة بمنهج تحليل المحتوى - التحليل الوثائقي لبعض مؤلفات بن نبي- يمكن أن نجيب على هذه التساؤلات لتنتبين الطريقة التي عالج بها بن نبي مشكلة المثقف وما قدم لنا من فكر وطريقة تفكير في معالجة هذا الموضوع، أين نستعرض أزمة المثقف كما طرحها مالك بن نبي ضمن مشكلة الثقافة ككل وتصنيفه للمثقفين في جو ثقافي مشحون بسياسة ثقافية

استعمارية تجيد استعمال الثقافة وضدها والسياسة وضدها مستعملة لما في القابلية من انصياح وطواعية وانهازمية وانبهار بكل ما هو استعماري المسجد في مخيال المصابين بعقدة القابلية للاستعمار لمعيار القوة والعقلانية والذوق والجمال والتطور.

### 1 المثقف كمشكلة ثقافية عند بن نبي:

من المعروف عن مالك بن نبي أنه قسم الجو أو الوسط الثقافي إلى ثلاث عوالم ثقافية متفاعلة ضمن شبكة اجتماعية هي بمثابة المرآة التي تعكس مدى تفاعل تلك العوالم إيجابا أو سلبا والمقصود بتلك العوالم "عالم الأفكار والأشخاص والأشياء"، فكلما تحسنت العلاقة بينهم أواضطربت أثرت على حركة الحضارة والتاريخ.

أهم تلك العوالم عند بن نبي هو عالم الأشخاص إذ هو العالم الذي تحفظ فيه الأفكار وتبتكر فيه الأشياء وإذ يقول بن نبي الأشخاص فهو يعني تحديدا ثلة صغيرة يسند إليها أي حركية اجتماعية فهم العدة وروح الدورة الحضارية في الاصطلاح البنابي.

بقدر ما أعطى بن بنى دورا مهما وكبيرا لهذه الثلة أي فئة المثقفين بقدر ما حملها الكثير من المسؤوليات عن المشاهد المأساوية التي تعيشها البلدان المستعمرة خاصة في الجزائر إذ رأى فيها مساوئ عديدة ساهمت في إطالة عمر المستعمر الفرنسي، منبها إياها لتتدرك زلاتها ومن أهم ما أشار إليه مالك بن بنى نذكر في سياق معاتبته أو نقده للنخب الجزائرية الآتي:

1- ارتضاء المثقف الجزائري بتسميته بالأهلي بل كرس لنفسه في الفضاء الإعلامي على انه مثقف أهلي ولا يستغرب بن بنى ذلك لأنه يرى في هؤلاء صناعة المدارس الفرنسية فهم منتوجها كما إنهم تعرضوا لغسيل مخ دام لسنوات وهم ينشدون مجد فرنسا عند كل صباح وهم يرفعون علمها.

لكن في المقابل يتساءل مالك من منطلق اجتماعي وتاريخي موجه لهم السؤال هل رأيتم مخصيا يرضى بوصف المخصي ( مالك بن نبي، 2013، ص 48 ) ؟

بقدر ما فيه هذا السؤال من تهكم وتعجب بقدر ما يتضمن إجابات عن الحالة النفسية التي تعيشها هذه الفئات المثقفة التي تعرضت لتدجين فرنسي فهي رضيت بأن تكون فرنسية ولو من الدرجات الدنيا ولم ترض أن تكون جزائرية أصيلة دون أن تعرض نفسها لهذا الخيار الصعب بين أن تكون نخب جزائرية طلائعية وبين أن تكون نخب أهلية لا تتحرك إلا بإيعاز أو بانتظار المباركة من لدن المستدمر.

2- توجيه الاستعمار الفرنسي لبعض النخب العربية والإسلامية التي تتشوق و تفاخر بمآثر الإسلام والمسلمين ظناً منها أنها تدافع عن أصالة الإسلام و نظارة صورته لكنها في واقع الأمر ترسم سياسة استعمارية تحاول سجن تلك النخب في الماضي منسية إياهم الحاضر فهم إذ يحترفون الكلام البليغ في الدفاع عن الإسلام لا يعملون بما أمرهم به الإسلام ليضربوا في الأرض ويجاهدوا من أجل تغيير واقع جثم على صدور الجزائريين منذ سنة 1830 (مالك بن نبي، 2011، ص78).

يذكر بن نبي هذا في خطاب التمجيدات أو المدحيات وهو قريب إلى نمط البكاء على الأطلال في الشعر العربي بل يتعداه فان كان هذا اللون من الشعر يستحضر مآثر سبقت في معايينه لوضع كارثي ومرفوض ومؤثر لعله يستفز الهمم ويوقظ الضمائر فخطاب التمجيدات خطاب مكابر، نرجسي مشحون بالاستعلاء والتكبر ويدعي الأسبقية في كل شيء وينصب نفسه الأحسن والأفضل على مر الزمان وان كان واقعه متعفن وضبابي ولا يفهم طبيعة التيارات الرائدة والمتنافسة ولا يعي الأساليب والمناهج والاستراتيجيات الناجعة في تحقيق إقلاع ممكن، إقلاع امن في عالم مشحون بالصراعات والتريصات والتوجسات والهواجس .

3- مثقفون يمجدون الأشخاص فهو يقول إذا غربت الفكرة بزغ الصنم وهذا برأيه دليل على تراجع عالم الأفكار وتقدم عالم الأشخاص وبهذه الطريقة يفسر كيف انتقل العالم الإسلامي من مرحلة الروح إلى مرحلة العقل ثم إلى مرحلة الغريزة أين يتفوق عالم الأشياء على عالم الأشخاص و عالم الأفكار.

بهذا التوصيف نكون اقرب إلى نموذج المثقف التقليدي الذي وضعه انطونيو غرامشي والذي يتحدث فيه عن نخب مثقفة مهنية أو مأجورة أو مسترزقة أو حتى مرتزقة فهم يدافعون عن وضع قائم مهما كانت مساوئه وعيوبه خوفا على مصالحهم بالدرجة الأولى لأنها مرتبطة عضويا بمن وضعهم في تلك المسؤوليات وأعطاهم بعض الصلاحيات والإمكانات والمساحات في مكالمة الجماهير والتوجه إليها من خلال هذه الأطر وتوجيهها أو صنعها أو التأثير عليها حسب ما تريد النخبة السياسية وبدل أن يحافظ المثقف عن وضعه كسلطة ثقافية مرتبطة بشرعية الحق كقيمة أخلاقية والحقيقة والفعالية كقيمة اجتماعية يرهن نفسه إلى السياسي ويبيع الجماهير سياسات ثقافية زائفة وإيديولوجيات مبررة لخطط معينة واعدة بمستقبل أفضل.

4 - مثقفون هائمون في الأفكار أو كما يسمون الآن المؤدلجين وهم ذوي نزعة يوتوبية حاملة وهؤلاء يبنون لأنفسهم بروج عالية بعيدة عن آلام الناس وأمالهم، هذه الحالة يصفها مالك بن نبي بطغيان الأفكار (مالك بن نبي، 2011، ص 83) وهي تقع عنده ضمن غياب المنطق العملي واللافعالية .

هذا التوصيف هو ما نجده في كتابات كل من علي حرب حول نهاية المثقف أو عبد الإله بلقزيز في كتابه نهاية الداعية فكلاهما يتحدثان عن المثقف الطهراني أو الرسلاني صاحب العصمة الذي يتقن لغة التجريم فقط ويعرض جزيرة اليوتوبيا الوردية التي تاه عنها الناس دون أن يحدد لنا الطرق والمناهج ودون أن يصطدم بضرورات الواقع وشروطه وصعابه دون أن يستكشف المحسوس الملموس لينظر لوساطة علمية وعملية بين الموجود والمرغوب بل يتواري في خلواته وبروجه عابداً لأفكاره ومفاهيمه مبشراً بنبوءته من فوق سطوح عالية فلا هو يسمع الناس ولاهم يرونه.

5- مثقفون يغلبون الفعالية على الأصالة وهؤلاء هم (الحدثيون) الذين يرغبون في التغيير السريع واللاحق بركب الحداثة وما بعدها على الطريقة الغربية وهذا على حساب القيم الوطنية والشخصية الجزائرية والهوية المحلية وهم أنداد لمن يسميهم بنبي بمتقفي التمجد أو متقفي الأصالة.

هكذا نرى أن الصراع بين تيار الأصالة ضد المعاصرة أو الخصوصي ضد الكوني أو العالمي، قديم في الجزائر وهو يقع ضمن اللائحة المرضية التي يضعها عبد الإله بلقزيز لمرض النخب العربية فهي إذ تمارس الإرهاب أوفوبيا الأفكار على بعضها البعض تنطلق من قاعدة أو منصة واحدة هي (النرجسية) أين يتصور كل مثقف أنه صاحب الرأي السديد ويبدأ بالتبجح على غيره بمقولاته في كل مناسبة سانحة وليدعوا الغير من أتباعه إلى الاهتمام به وبأفكاره في صالونات مفتوحة أو مغلقة لكي يزيد في الافتخار بذاته ويرى فيها مركزية النسق الثقافي ككل بحكم أنه الوحيد الذي أيقن الحقيقة وامتلكها أيقن إن العالم يتجه في مسار واحد هو مسار التنوير والعقلانية والنهضة والصناعة والحداثة الغربية (عبد الإله بلقزيز، 2000، ص 38، )، وما عداها فهي الرجعية والنزعة الماضوية والمحاولات الصبانية والخطأ في الانحراف عن الحتمية التاريخية.

إن كانت كل هذه الأوهام أو الأعطال المصاب بها المتقف الجزائري خلال فترة استدمارية كان لها طابعها السوسولوجي المهيمن في ضبط و تسيير بعض المظاهر المشوهة خدمة لمصالح معينة تقع في الجهاز المفاهيمي لدى مالك بن نبي في أعمال المستعمر، فهناك مصائب ونوازع نفسية مرضية صادرة من ذات المتقف القابل للاستعمار ومن أهمها القصور أو الضعف الفكري والانحلال القيمي والأخلاقي يصرح مالك بذلك قائلا: "والواقع أن مجتمعنا أصبح يعاني في قيادته أزمة أخلاقية وفكرية تجعله عامة لا يحقق للأفكار شروط حصانتها وفعاليتها فيه حتى إنها تكون معرضة للفساد إما لضعف أخلاقي يحيط بها وإما لضعف فكري يخذلها" (مالك بن نبي، 2009، صفحة 81).

بوادر هذه الأزمة عند مالك بن نبي ابتدأت مع بن خلدون فهذا الرجل برأيه عاش غريب وخلف وراءه تراث كان يغني الأمة ويحميها من جراحاتها البليغة لكن العالم الإسلامي آنذاك كان يعيش غيبوبة فهو لا يدرك ولا يعي الانفجارات المعرفية والثورات العلمية ولا يشعر ولا يتحسس الأزمة الأخلاقية التي ألتمت به فهو يعيش خراب وخواء سببه فقدان الضمير والفهم أين يدخل العقل والنفس في مراجعات ومحاسبات وحسابات جادة ونزينة لكنه ارتضى الخمول والمجون ومازال بتقدير بن نبي إلى ذلك الوقت يرتع من هذه العريضة فهو إن لم يكن نائم فهو مخمور بالصدمة الاستعمارية التي ولدت في الأخير متقفا قابلا للاستعمار.

بخلاف أو على عكس المتقف الإفريقي الذي يراه مالك نموذجا للوفاء والالتزام بالأصول الإفريقية رغم تخرجه من جامعات باريس ولندن فالثقافة الإفريقية حاضرة فيه رغم غربته وهو أيضا يدفع مشكلا نفسيا يؤرقه يظهر مثلا بملابس جده ليثبت حضوره في الوسط الأوربي لكن في المقابل يرى مالك بن نبي أن المتقف الإفريقي ميزته تتجلى في تعاطيه مع مشاكل مجتمعه ووطنه من وجهتين الوجهة الأولى في ما حصله من علوم وتجارب في أوروبا الوجهة الثانية أنه لا زال مرتبطا بثقافته وأصوله وهكذا هو مؤهل لينزل إلى قاعدة الشعب الإفريقي ليرفعه إلى قمة الحضارة التي تتوافق ومزاجه فالمزاج الإفريقي مزاج حضاري لا مزاج إمبراطوري وهذه إشارة من بني إلى أن الرجل الإفريقي رجل سلم لا رجل حرب (مالك بن نبي، 2013، ص122، 124).

مع العلم أن بن نبي يرى من مميزات المتقف أن يكون أممي (عالمي) لكن ليس بالمنظور الغرامشي وإنما من المنظور الإسلامي فالإسلام عند بن نبي رسالة لا تخص المسلمين فقط وإنما هي رسالة إلى كل العالمين والمسلم عنده يعيش في هذا العالم من منطق الشهودية ومنطق

الاستخلاف وعليه ان يخرج من دائرة الانطواء والانعزال ويتمكن من أدوات الاتصال و أن يتخلص من " مرض فوبيا الاتصال " ويتفاعل مع الجميع لأن في ذلك تأسيس وتكريسه لما يسميه هابرماس بالفعل التواصلي (جلول مقورة، 2013، ص355) وهو فعل عقلائي نفعي يقول مالك بن نبي " والواقع أننا نلاحظ في هذه البلاد جميعا نوعا موحدا من النقص ألا وهو نقص التنوع فهناك الباشا والسوقي والمتقف والأمي دون أن يكون بين الطرفين اتصال يرسم صورة مستمرة يكون بين الطرفين اتصال يرسم صورة مستمرة للكيان الاجتماعي وهذا عكس ما يحدث في أوروبا حيث تتكاثر المواهب والقرائح المختلفة على ربط ثمرة العبقورية لعمل اليد بواسطة شلالات من القيم المتدرجة الكاملة (مالك بن نبي، 2006، ص152) عندما يربط بن نبي المتقف أو مشكلة المتقف بمشكلة الثقافة أو بالأحرى يجعل منه مشكلة ثقافية فهما يربطهما بوسطين ثقافيين متمايزين وبنزعتين ثقافيتين متصارعتين يجعلان من الفهم والتغيير استحالة قدرية ويأخذان المجتمع إلى انتحار حتمي.

إلا أنه وبخلاف المقاربات و الأطروحات الموجودة حول علاقة المتقف بالنسيج الاجتماعي ككل يأخذ بالحسبان عامل الاستعمار وهذا لا يندرج ضمن الخطاب المازوخي أو المؤامراتي بقدر ما يعبر عن تجربة معاشه وفي الكثير من الأحيان تشخيصه كلفه الكثير في حياته الشخصية والمهنية والعلمية كمتقف واجه الاستعمار بقلمه فقط فواجهه المستعمر بالتضييق أينما حل وارتحل وفي أي عمل أراد أو بدأ فيه فغالبا ما يحدثنا بن نبي عن ماسينيون وما لحق به جراء متابعته له الدائمة وكأنه ظل لا يفارقه، لا لشيء إلا انه كشف اللعبة الثقافية الخفية والثقيلة المتعددة الأطراف بين سياسية واقتصادية وتعليمية وعسكرية التي يهيمن بها الاستعمار على المستعمر.

في المقابل يقدم لنا بن نبي نماذج عملية ناجحة في المستعمرات الإفريقية ترشد المتقفين وتمنع عنهم التيه في زحمة الأفكار الخداعة أو أغراض النفس الأمانة بالسوء أو ذهان المباحاة بعمل الأسلاف والأجداد التي اتخذ منها بعض المتقفين طواطم = (جمع طوطم) ثقافية .

إن هذه الجملة لعلى حرب " .... بشأن العامل في ميدان الفكر أي من يسمى مفكرا أو فيلسوفا على وجه التحديد هو صاحب مهنة كغيره من الناس هي الاشتغال بالأفكار وعلى الأفكار لتوليد أفكار جديدة سواء في حقل التفكير أو في منهجه أو في عدته وأجهزته إذن عليه أن يعمل بخصوصيته لكي يكون منتجا في ميدان اختصاصه ... " (علي حرب، 2004،

ص160،159 )، لو حاولنا أن نسقطها على التراث البنابي، ترى ما حجم الفائدة التي ستعود علينا ونحن نتحرى إنتاج كبيراً حول تصنيف الأفكار وشرحها وتبيان أهميتها أو خطورتها وكم من منهج سيفيدنا ونحن نراقب الطريقة العلمية في صياغة القوانين وفهم الظواهر إلى أي حد سنستمع بأسلوبه اللغوي وهو يختار ما بين الإنشائي والإخباري بين النثري والشعري بين الأدبي والعلمي وما مدى قوة حججه من ضعفها وأي الحقول والمشاريع شغلته أكثر.

وكأن هذه الأسئلة تتضمن إجابات أولية عن موهبة الرجل ومحاولة إمامه وإطلاعه وانشغاله بالكثير ومن القضايا والمسائل التي لا تشغل إلا مثقفاً اسماء هو بالمكافح أو المصارع، هذه المعاني البنابية هي معان خالية من كل معنى ماركسي أو غرامشي بل هي نتاج ما أسماه الأستاذ **عمار يزلي بالمتفق المرضوض** (عبد القادر بوعرفة وآخرون، 2014، ص104) الذي أحسن التفاوض مع جملة من التراكمات الزمنية والمكانية المتناقضة لتعبر عن اجتهاد موضوعي شخصي متميز في طرحه ومعالجته ومراميه شكل باقتدار ظاهرة اسمها " مالك بن نبي " لم تحظى بالدراسة الكافية والواقية .

وهو الذي حاول أيضاً أن يتخلص من حالة الدوار التي أصابت معظم المثقفين من جيله كما شخصها فرانز فانون ( نايجل غبسون، 2013، ص 273 ) الذين عانوا حالة الشك والخوف والتردد، الحياء السلبي، فلم ينخرطوا مع المثقفين البورجوازيين المتعلمين من أقرانهم ولا مع الفلاحين الثوريين من أتربهم، لم يعملوا ما أطلق عليه بن نبي بالنقد الذاتي للتجربة الوطنية آنذاك ويضيف ما لهم منفهم و مشاركة لتعزيز الحركة الوطنية واثرائها بما لهم من آراء واقتراحات تساعدهم وتساعد الحركة الوطنية على أن يجدوا لها ولهم من المخرجات والتوازنات والاتزان العملية .

كما أن مساهمتهم هاته والتي دعى إليها من منطلق ما هو واجب على المثقف حق من حقوق ثقافة الأمة والوطن الذي ينتمي إليه، فهذا الالتزام المفقود والمعبر عن قطيعة تعكس نوعاً من الانكسار والهزيمة ما كان عليها أن تكون وما يجب أن تطول، فالمثقفين مطالبين أكثر من غيرهم عند مالك بن نبي أن يتجاوزوا مشكلاتهم وينخرطوا في كل ما تعانیه ثقافتهم وثقافة وطنهم من مشاكل وأزمات وأن يقفوا عند مصادر هذه التآزمات ومظاهرها ومآلاتها وأن يأخذوا بثقافتهم أو يحرروها من المكان والزمان الذي سجن في فيه إلى المكانة التي استحققت وتستحق ( وجيه كوثراني، 2004، ص 76 ) أي أن يغيروا بثقافتهم ويغيروا فيها دون أن يخلوا بمعادلة الثابت

والمتحول في الثقافة، فالأرضية التي يقف عليها المثقف وثقافته هي غير الأرضية التي كانت عليها كتقافة حضارة فهم مطالبون بأن يفهموا ويتصوروا التغيير الملائم لهم ولثقافتهم كتقافة تحضر وريادة ومشاركة وتثاقف في أطر الإنسانية والعيش المشترك وكذلك الحماية والوقاية والحصانة والممانعة والمقاومة الثقافية المشروعة .

## 2 تصنيف مالك بن نبي للمثقفين:

وكان بن نبي يصنف المثقفين بناء على ثلاث اعتبارات أساسية وهي الاستعمار والقابلية للاستعمار والحرية أو التحرر، أما الذين يضعهم في دائرة الاستعمار فهم :

### 1.1.2 المثقف الأهلّي :

وهو خريج المدارس الفرنسية المتشبع بما تلقاه من أدب وثقافة اللغة الفرنسية الوفي لما أسند إليه من وظيفة أو مهنة المعتر بلقب الأهلّي الذي منحه إياه السلطة الفرنسية الاستعمارية غير مبال إن كان مواطناً فرنسياً من الدرجة الثانية ولو على حساب جنسيته الجزائرية الأصلية. وهؤلاء لا يشكلون خطراً على الاستعمار كالذين رافقوهم في المدارس الفرنسية والذين يخشاهم الاستعمار لأنه علمهم العدالة والحرية والمساواة التي لم يجدها في بلدانهم المستعمرة والتي حاسبوهم بها انطلاقاً من خطابهم التعليمي والثقافي الزائف أما الذين امتدحوا الاستعمار بالرغم من سلبه لهم كل شيء فيعدد لنا منهم ( المثقف السائح المعجب بجمال الأوربيات والحانات أي الذين اغترفوا من بحر قدرات الثقافة الغربية ومقابرهما ومنهم الساسة كملك مصر الملك فاروق وبعض الطلبة من الحي اللاتيني الذين عميت أبصارهم عن الأفكار الميته والمميتة في الثقافة الغربية فهم مجرد مثقفين تجريديين حاملين بعيدين كل البعد عن ما تقتضيه الاستعمولوجيا والميتودولوجيا في وضع إسقاط عملي على واقع بلدانهم ) .

### 2.1.2 المثقف الممجد :

وهما نوعان مثقف ممجد للفكرة الإسلامية بحكم انه خريج المدارس الإسلامية سواء كانت مشارقية أو مغاربية ( القرويين أو الزيتونة أو الأزهر أو الحرمين الشريفين بالسعودية ) وهو في الأساس ضحية تلاعب الاستعمار به لأنه ترك له المجال ليغرق في الماضي دون أن يتحسس واقعه الموحش المغير من قبل الآلة الامبريالية الفرنسية ليجد نفسه في الأخير يصرخ في وادي الخوالي هو بعض من أشباهه .

والصنف الثاني أو النوع الثاني هو متقف ممدد للشخص وهذا الشخص هو السياسي في غالب الأحيان وان كانت الثقافة ككل أيضا تصنع اقانيمها أو أصنامها التي يظل عليها العابدون أو المريدون معتكفون والثقافة في الاستعمال البنابي تلبس لباس الدين فالمتقف ها هنا هو عالم الدين هو الفقيه أو المحدث أو الداعية أو الصوفي أو الولي (القديس) الذي عرف ويعرف الكثير من التلاميذ والأنصار والمتعصبين له والذين لا يؤمنون بأبي انتقاد له أو تجاوز عليه في طرح من الأطروحات أو مقارنة من المقاربات بل يبقى المرجعية الوحيدة في التأطير والتنظير لمدرسة من المدارس أو فرقة من الفرق أو في حزب من الأحزاب كما حدثنا بن نبي أيضا عن هذه الظاهرة مع البدايات الأولى للحركة الوطنية وهكذا يتحول الشخص إلى معبود ، فهو المركز وما دونه الهوامش الفاعلة في رحابه المشتغلة عليه المنشغلة بعطاءاته وعبقريته وكتاباتاته وتوجيهاته .

أما الذين يضعهم في الدائرة الثانية فهم :

### 2.1.2 المتقف الحركي :

وهم الذين نجد لهم مرادفات عند جوليان باندا وادوارد سعيد عندما يحدثونا عن خيانة المثقفين أو في الكتابات الجديدة التي تتحدث عن كوارث المثقفين العرب وفضائهم مع الامريكان الغزاة الذين نعتوا بمثقفي المارينز ( المثقفين العملاء ) وهؤلاء بتعبير مالك بن نبي هم من يدسوا الأفكار الخاطئة والذين لا علاقة لهم بمصائب وعواطف شعوبهم ( مالك بن نبي، 2013، ص 15 ) فهؤلاء هم الذين يبشروا بديمقراطية وحضارة المستعمر و الرفاه والتنمية التي ستأتيهم عن طريق ذباباتهم وطائراتهم الحربية، فهم بارعون في تبرير افعال الاستعمار من منطلق عقلنة الظاهرة الاستعمارية فهي ظاهرة عادية وتاريخية بحكم العوامل الداخلية السيئة فهم يشرعنون أفعال الاستعمار وينخرطون في الأجندة الثقافية الكولونيالية بوعي أو بدونه الرامية في الأساس إلى :

• هدم كل القيم والمعاني الثقافية الوطنية التي تبقي المجتمع حي.

• طمس المرجعية الوطنية وخلق الفراغ مع الإصرار على تشويهها ومسحها .

فهؤلاء هم كما يقول عنهم مالك بن نبي " النخبة المثقفة التي ولجت بكل وضوح طريق الاستعمار وأن الاستعمار بدأ يستخدم الزعماء لإلقاء الحيرة والريبة في الضمائر " ( مالك بن نبي، 2013، ص 316 ) ويقول عنهم أيضا "أن الاستعمار شرع يدفع في حلبة الصراع جنده الجديد

من المطربشين المتكونين على المقاعد والثانويات والجامعات " ( مالك بن نبي، 2013، ص 391 ).

### 2.2 مثقفو القابلية للاستعمار أو المثقفون القابلون للاستعمار:

وهم وبصيغة المفرد المثقف الهزيل أو الضعيف أو الضحل هو مثقف غير متمكن من العلوم والمعارف غير واثق وإن تمكن من التحصيل المعرفي فتتقصه الفعالية في تطوير هذه المعرفة أي تجديدها وجعلها أكثر مواءمة للعصر الذي نحيا، كما أن هذا الضعف بتقدير بن نبي ليس موضوعي فقط بل ذاتي فهو كما تقدم يعود إلى مدارك ووجدان المثقف القاصر - أنصاف المثقفين - كما يعود أيضا إلى أخلاقه وهنا نستحضر كتابات جوليان باندا وادوارد سعيد حول خيانة المثقفين و أخلاقوية المثقف وادعائه الأخلاق والتخلي بالقيم والمبادئ ثم الدوس عليها.

أما الدين جعلهم في الدائرة الثالثة فهم من وصفهم بالمثقفين الأحرار أو المتحررين وهم كالأتي:

3.2 المثقف الحر أو المتحرر: يعطينا بن نبي العديد من الأمثلة نذكر من بينها بقدر ما وسعته هذه القراءة:

### 1.3.2 المثقف المكافح أو المثقف المصارع:

يقابله عند ادوارد سعيد المثقف المقاوم أو المثقف الهاوي(ادوارد سعيد، 2006، ص 181 ) (الذي يقابله المثقف المحترف كما حدده سعيد وكما وصفه بن نبي بالمتناقف أو المتعالم أو نصف مثقف أو رجال القلة) والمثقف المكافح أو المصارع هو كذلك على اعتبار تنظيره لثقافة المقاومة أما مقاومة المثقف فيتجلى تنظيره على مستويين اثنين المستوى الأول هو في محاولة تخلصه من العبء التاريخي للاستعمار وفي مواجهته المستمرة كند لا يكل من الختل والتأمر والمستوى الثاني في قوله لا الدائمة للسلطة.

### 2.3.2 المثقف الإسلامي الإنساني :

هو مثقف ذو نزعة إنسانية لا وفق التصور الماركسي الحالم بجنة شيوعية وإنما وفق تصور إسلامي أي وفق الدعوة الإسلامية أو ( البشارة ) الإسلامية التي تتضمن قيم الانبعاث الرحماني العالمي لا العولمي المأمرك وفق الرؤسالمالية المتوحشة أي وفق ما جاءت به الآية القرآنية الكريمة " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " .

### 3.3.2 المثقف الإفريقي:

هو نموذج للالتزام فهو المثقف الملتزم عكس المثقف القابل للاستعمار، المثقف المندهبش أو المصدوم ببهرج ارويا الحداثة،فالمثقف الإفريقي كما يصفه مالك بن نبي مثقف أصيل لا يجد

عقدة في أن يلبس زيه الإفريقي في باريس أو غيرها، كما انه متقف فاعل لا يقف عند هذا الحد من المظاهر أو الشكليات، فعندما يعود إلى بلده ينخرط مباشرة في مشاكل وطنه ومجتمعه ليوظف ما له من علوم ومعارف وتجارب وخبرات في سبيل حل تلك المشاكل وفق مرجعيته الثقافية الإفريقية، بمعنى انه استطاع التوفيق بين العلم الحديث و الثقافة دون ان يشعر بعقدة نقص أو يدخل في مطبات العلمانية والعقلانية الأوروبية فالعلمنة والعقلنة خضعت لشروطه الثقافية كما أخضعها الآسيوي الصيني والياباني.

يمكن أن نضيف أيضا نوعا آخر من المتقفين الذين تحدث عنهم مالك بن نبي لم يخل منه مصر من الأمصار أو عصر من العصور ألا وهو :

#### 4.2 المتقف الذي طغت عليه الأفكار ( اليوتوبي او المثالي ):

والأفكار هنا كوحش فرانكشتاين الذي حاول قتله وكذلك الأفكار تفعل ببعض المتقفين الذين يحبهم العالم المجرد، عالم النظريات، عالم المثل والأحلام دون أن يختبروا أفكارهم ودون أن يكتشفوا واقعهم المعاش دون أن يجعلوا من ذواتهم مخابر مفتوحة يترددون فيها بين ما هو فكري وما هو اجتماعي مجسدا على ارض الواقع في يوميات الناس ككل وما يشغلهم في عالم السياسة والصحة والتعليم والصناعة والرياضة والفلاحة والنقل والحروب والمصارف وغير ذلك هو متقف يرى العالم بنظارة واحدة ومن زاوية واحدة هو ضحية إدمان فكري .

#### خاتمة :

إن هذه المحاولة في تحديد بعض مظاهر الثقافة وصور المتقفين بنابيا تشكل عينة صغيرة من مجال واسع شغل كثيرا بن نبي لأن الرجل كان يعتقد انه لا يوجد شيء خارج الثقافة فهو مؤمن بالمقولة الفرنسية التي تقول إن الثقافة هي الأمر الوحيد الذي يبقى بعد أن ننسى كل شيء، فإذا نحن ركزنا نوعا ما لنتفحص ما المقصود بالأمر المتبقي لتبادر لنا ابتداء الهوية كونها الوحيدة العسوية على النسيان بفعل الترسخ النفسي والوجداني في فكر وسلوك أي فرد أو مجتمع كان وهي القيمة الثابتة تاريخيا والخزان الذي لا ينفذ للأمام و الشعوب على مدار العقود والقرون وإن كانت بعض الثقافات اضمحلت بفعل النسبية والبعض منها بعث من مقابر الأخبار الغابرة وأرشيف الإنسانية البعيد.

وعليه تكمن إمكانية عودة الحضارة الإسلامية عند مالك بن نبي من خلال رد الفعالية لثقافتها المتعددة المجالات من خلال ركيزتها الأساسية فالدين أو الإسلام تحديدا عند مالك بن

نبي أكبر واشمل واعم إذا قارناه مع اميل دوركايم، نعم لهما نفس التصور الوظيفي للدين لكن دور كايم يرى أن الثقافة تشبه الدين كونها تملك نفس الشحنات العاطفية التي تلبسها نشاطاتها وعوائدها وتقاليدها وبروتوكولاتها ولها نفس العقوبات و الاكراهات على من يخل بها أو يبدي قلة احترام لها كما هو الحال مع الشعائر والطقوس الدينية المملوءة بالمشاعر الروحية والالتزام الدقيق بالأمر الفقهي التي ترتب عن المقل أو المتغافل عن الإتيان بهذه التفاصيل جزاءات ردعية من شأنها المغفرة والاستتابة، بينما الثقافة ككل عند بن نبي هي الدين إن لم نقل الحياة ككل هي الدين فالحضارة عنده لا تتحقق إلا بالثقافة والثقافة لا تكون ثقافة إلا إذا أخذت من الدين (الإسلام) المبادئ الأخلاقية والجمالية والتقنية والعملية فالدين هو الدافع أو الوازع إن تكلمنا بلسان بن خلدون لقيام حضارة إسلامية إنسانية .

وقيام هذه الحضارة يكون عن طريق توجيه ثقافي أي من خلال سياسة ثقافية أي من خلال خطاب ثقافي مدرك لثلاث ملفات أو حقول أساسية:

الأول التراث الإسلامي بشقه الديني والعلمي ككل أي بدون فصل أو عزل الذي إلى حد الآن لم يستطع إنجاب شخصيات عالمية على مستوى توماس الاكوييني ورينيه ديكارت. الثاني: القابلية للاستعمار وهي موضوع نفسي اجتماعي معقد كونه مشحون أو حامل لرواسب ثقيلة أتعبت مسلمي ما بعد الحضارة أو الخارجين من الحضارة الواقفين على أبواب المدنية الغربية والدهشة تعلق محياهم المقلدين لهم في كل شيء المكديسين لكل منتجاتهم زاعمين أن الطريق إلى التحضر يكون بالتقليد والتماهي والمحاكاة مع الغرب.

الثالث: الاستعمار وهو نتيجة منطقية لكل هذا وان لفق حضوره الغاصب بمقولات الحقوق والتطوير والإنسانية فأعماله البشعة والوحشية والبربرية كشفت مدى همجيته ونفاقه كما كشفت عن خبئه وأساليبه الماكرة في استئصال ثقافة الشعوب المستعمرة التي تلهمها ثقافة البقاء والمقاومة والاستمرارية والتحدي .

وللأسف هذه الحقول الثلاث بتعبير بن نبي لها أجواء ثقافية معينة هيئت لوجود نخب ثقافية معبرة عن تلك الأوضاع المهلهلة فأنتجت لنا مثقفين تراثيين حماسيين لا يجيدون إلا لغة الخطابة والكلام دون أن يقدموا قراءة متزنة للتراث الإسلامي تتجاوب مع منطق التأثير في المتلقي ومضامين الرسالة الإسلامية السامية في التوكيد على أولوية الحقوق على الواجبات مثلا كقيم محببة ومشجعة على العمل والاستثمار لا على التواكل والبوليتيك مشجعة على طلب العلوم

والمعارف بدل الانخراط في النسق السياسي الذي أخرج وعطل قيام نهضة علمية تنويرية وأخلاقية مبنية على أسس متينة تفاوض لكن لا تتنازل تتقدم في مشروع تحقيق الاستقلال لا تتأخر عنه ولا تتخرط ضمن مثقفي الإدماج والحداثة والتحديث الذي ارتضى بعضهم ألقابا مهينة لكن هي في نظرهم مشرفة مادام أنها أتت من رجل الحضارة حتى ولو كان مستعمرا له حتى ولو كان ينظر إلى نفسه على انه سيد وان ذلك الأهلي مجرد عبد أو مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة، فلولا فرنسا أو غيرها من الدول الإمبراطورية والامبريالية ما كان على ذلك القدر أو المستوى من التربية أو التعليم فهو يشعر بالامتنان الدائم للسيد الذي أنقذه من الأمية والتوحش.

في مقابل هذه النماذج السيئة أو السلبية من تفاعل عالم الأفكار ( الثقافة ) والأشخاص (المتقفين ) في العالم الإسلامي ككل توجد نماذج ايجابية نوه بها ولها مالك بن نبي في إفريقيا واسيا الشرقية أحسنت التوفيق بين العلوم والمعارف التي تلقتها في الغرب وبين ثقافتها الأصلية وبين المطالب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الملحة على يوميات ذلك المواطن الإفريقي أو الآسيوي .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل العالم الإسلامي عجز فعلا عن إيجاد مقارنة معرفية وثقافية لاحتياجاته الضرورية على مستوى الخطاب وعلى مستوى الممارسة تتم على قدر كبير من الإدراك والفهم للخطابات والسياقات المرادفة والمنعرجات الحاسمة والمتربصة من شأنها تحقيق تغيير حضاري يشمل الكثير من المواضيع التي ناقشها مالك بن نبي ثقافيا وعلى رأسها الاقتصاد والجغرافيا السياسية وحركات التحرر والاستقلال والنص الديني ( القرآن الكريم ) وغير ذلك من المواضيع المهمة في ثقافتنا والتي تناولها بأسلوب ومنهج يتراوح بين العلمي والفكري والأدبي ( الشعري و السير-ذاتي و الروائي ) في زمن كان له نمطه الخاص ورؤيته المقولبة أو المنمذجة ضمن تصورات معينة ومحددة.

وان كان الاستقلال يعد بالكثير ويبشّر بالكثير كونه أزاح ليل الاستعمار وحقق أهداف الثوار لكن هذه البشارة سرعان ما اصطدمت بواقع جديد بمشاكل وعوائق دعت مالك بن نبي يقول بضرورة تأسيس علم اجتماع الاستقلال الذي برأيه افرز لنا ثقافة جديدة ونخب جديدة ومتقفين جدد يخضعون للسياق التاريخي الذي تواصل فيه الدورة الحضارية الإسلامية حركتها، فترى ما طبيعة هذه الثقافة ؟ وأي إرادة لها ؟ وماذا تريد ؟ وما مدى قوة مثقفها معرفيا وأخلاقيا واستراتيجيا ؟ وكيف يتم معالجة كل هذا بناي ؟

**المراجع:**

1. سعيد ادوارد ، ( 2006 ) . المتقف والسلطة (محمد عناني ، ط 01) . رؤية للنشر والتوزيع .
2. مالك بن نبي، (2013) . القضايا الكبرى . دار الوعي .
3. مالك بن نبي، (2006) عوجه العالم الإسلامي . (عبد الصبور شاهين ، ط 06) . دار الفكر
4. مالك بن نبي، (2011) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي . (بسام بركة، ط 10 دار الفكر ودار الفكر المعاصر .
5. مالك بن نبي ، (2009) . الصراع الفكري في البلاد المستعمرة . (ط 09) . دار الفكر .
6. مالك بن نبي ، (2013) . مشكلة الثقافة . (ط 01) دار الوعي .
7. مالك بن نبي، ( 2013 ) . من أجل التغيير . (ط 01) . دار الوعي .
8. مالك بن نبي، ( 2013 ) . منكرات شاهد للقرن . (ط 01) . دار الوعي .
9. محمد شوقي الزين، (2014) . الثقافة في الازمنة العجاف - فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب - (ط 01) دار الامان ومنشورات الاختلاف
10. عبد الإله بلقزيز ، (2000) . نهاية الداعية - الممكن و الممتنع في أدوار المتقفين - . (ط 01) المركز الثقافي العربي .
11. عبد القادر بوعرفة وعمار يزلي وآخرون، (2014) تأملات في فكر مالك بن نبي . (ط 01) دار القدس ومخبر الأبعاد القيمة للتحويلات الفكرية والسياسية .
12. على حرب ، (2004) . أوهام النخبة أو نقد المتقف . (ط 01) المركز الثقافي .
13. جلول مقورة، 2013 . الفعل التواصلي عند هابرماس - نظرية وتطبيق - .مجلة المعيار، المجلد 16 ، ص 355-374 .
14. نايجل سي غبسون ، ( 2013 ) . فانون - المخيلة بعد الكولونيالية - . (خالد عابد أبو هديب، ط 01) . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
15. وجيه كوثراني ، (2004) . هويات فائضة مواطنة منقوصة . (ط 01) . دار الطليعة .